سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (48)

قصائد وأبيات

وأنظام في مسائل مختلفة

لمحمد الحرير رحمه الله


خزانة الحرير

قصائد وأبيات
وأنظام في مسائل مختلفة

لمحمد الحرير
رحمه الله تعالى

استخرجت
من كتابيه: النعيم المقيم، والعقود الإبريزية

(تطوان - المغرب 1432 - 2011)

تطوان المغرب: 1432 – 2011

قصائد وأبيات

وأنظام في مسائل مختلفة

لمحمد الحرير رحمه الله



تطوان المغرب: 1432 – 2011

بسم الله الرحمان الرحيم

1 -قصيدة في مدح مدينته تطوان وذكر منازهها وحدائقها، والإشارة إلى بعض ما تقلبت فيه من سراء وضراء، وما أسسته فيها مهاجرة الأندلس بعد الجلاء:

تطوانُ يا بلدةً بالمدن قِسناهـا ... فكنتِ أسمى مدينــة وأسناها
أنتِ العروسُ تجلت في منصّتهـا ... من وجْه (درْسَة) ينجلي محيــاها
برزتِ في حلة بيضاء راكبـةً ... ظهر الربى، والذّيولُ الخضر بطحاها
وأنتِ جنةُ حُسنٍ تحتَها نَهَــرٌ ... يزين رؤيتها، ويجيد ريـّــاها
منازهُ بكِ فاقت كل مُنتــزهٍ ... تُحيي النفوس، إذا الوسْمي حيَّاها
ذات المناظر ترقينا بسورتهـا ... فيذهب الغم من آيات رقيــاها
بك (المُحَنَّشُ) إن غنت حدائقه ... فما أُحيْلى أغانيها ومغنــاها
يجري به الوادي في أنحائه قِطعاً ... من فِضَّةٍ صاغها الباري وأجراها
وللبساتين في (كِيتّان) بهجتُهـا ... رقّت، وراقت بمائها ومرعـا
صُفَّتْ بها شجـر النارنج رافلـةً ... من خُضْر سندسها يسُّر مــرءاها
وفي (الطَّوَابِل) ُتطْوى كل كارثةٍ ... إذ المسرات جاءتها ببشــراها
قصرُ مشيدُ وأشجارٌ منوعـة ... ومَرْبَعٌ حسن، وطيبُ أرجــاها
علو(البُوجرَاحِ) يَسقي كل جارحـة ... خمر السرور، وينشيها بصهباها
خُضرالبطاح وسمُرالهضب مُبهجةُ ... وبيض أزهاره بالحسن قد بــاها
طيبُ الهواء به أشجى الطبيب فكم ... من علة أعضلت في الحين أبراها
حُلـوُ المَّياهِ (بِعين المرِّ) مُعجزةُ ... العَيْنُ مرٌ، وماء العين أحْــلاها
موتُ النسيم بها يَحيى العليلُ بـه ... فاعجبْ لموت بـه للنَّفس مَحياها
لـكِ المفـاخِرُ في الأزمانِ بـارزةً ... تحلــو لمستمع الأخبـار ذكرَاها
ضمّتك أبنـاء إدريس لدولتهــا ... فشِمتِ بَرق سناها صوْبَ عليَاها
وساقكِ النــاصرُ الأسمَى لدولتـه ... ورام طيكِ إن طويـت جفـاها
وصنتِ ثغرك في عصرالمريني إذ ... أصبحتِ بين ثغـور القطر أحماها
أصفاك ودّاً لذا قد صرتِ مُودعَـة ... لعُدَّةِ الحرب أوقـاها وأقـواها
أشاد فيكِ حصوناً يستعـدُّ بـها ... حتى إذا ما العِدَا هاجتــه أرداهـا
طُلتِ الثغور زمـاناً تزهو آمنــة ... لا تختشي من ليالي الدهر عقبـاها

ثم اعتراكِ الرَّدى وأنتِ غافلــة   فصير العلو من دنياكِ سُفـلاها

ولم تزل لخطوب الدهر خاضعـة   يعلو ربوعَكِ بومُها وبُهـماها

وإذ هوى الدهر من ضيم بأنـدلس   ولم يـراعِ لهـا إلَّا ولا جـاها

وروَّعَتْهـا عِداها كلَّ آونــــة   وحمَّلتها خطوباً أوْهَـت قـواها

وضاقت الأرض عن رحب بأندلسٍ   إذ أوسعتها العدا ضيما بطغـواها

واخْضَّلتِ التربةُ الجدباءُ من سكنٍ   بأدمع هطلـت تَعُمُّ سقـيـاها

على الفرادسِ من أرضٍ بهاضحكت   دهراً وخان فأنكـاهـا و أبكـاها

طارت إليكِ نسوراً فوق أغربـة   مُزْوَرَّةً عن أليفِ الوكْرِ مثـواها

وغَادرَتْهُ كأفراخٍ بـذي مَــرخٍ   خُمْصِ الحَواصِلِ لا مرعى ولا مَـاها

أتت إليكِ حيارى لا فؤاد لهـــا   لا تدَّري أين مَسْراهَا ومَرسَـــاها

مستجديـاتٍ ثواء من ذوي كرم   تروم منـهم مقـامهـا ومأواها

نعم أتت إليكِ وأنتِ اليوم لابســةٌ   من حلة الوَهْـيِ والتخريب سوداها

أتت إليكِ ولم تـحمل سوى هِمَمٍ   دركَ الأمانـي مغزاهـا ومرمـاها

لا تنتحي راحةً أو تنتقـي دعـةً   لكنهـا سمةُ الإقـدامِ سيماها

جدت فجددتِ الأوهى وقد وجدت   نشاطها في قرار منكِ يهواها

قامت على ساقها في رد مَا اختلست   منكِ النوائب حسَّـها ومعنـاها

إذ قد سمت بكِ في التحضير همتُها   وألهمتـك فنونـاً كنت تلغاها

والمنظريّ الهمام الشهم قائدهـا   أجـاد في ذبـه إذ كـان أقواها

حَمَى حِماكِ وفَلَّ غَرْبَ رَائعِــهِ   ولم يَدَعْ ثَغْرةً في الثغر يغشـاها

أبقى لديكِ مــآثراً مُخلَّـدةً   يحبذ الدهر منشأها ومبـناها

ديماسه لم يزل بوسمـه ناطقا   والمسجد الجامع المشهور يرعـاها

دمتِ الوحيدة في البلدان لابســةً   من حلة العز أوفـاهـا وأبهـاها

محفوظة من زمان صفْوُهُ كـدرٌ   يُعدي عليكِ من الأكدار أعــداها

فتيانه في بحُور اللّهـوِ سـابحةٌ   فتيــاته بثـياب الصون ثقلاها

كُـهُوله جهِلَتْ، شيوخـه وهِلَـتْ   خِيَّارُه وجلِت من بـثِّ شكـواها

عـم الضلال على الآراء يا عجبا   أن صار ذو بصر في النـاس أعماها

عصر يرى أهلُه في الدين منقصةٍ   يؤخر الناس عن تنظيم دنـياها

يسام ذو الدين بالرُّجْعَى عندهُـمُ   وذو الضلالة والإلحـاد أرقـاها

يـارب دارِك بفـضلٍ منك أمتَـنا وأصلح حــالتـها فأنت مـــولاها

وانظُر إلينا بعين اللطـفِ سِّيدنـا وإذ عصينــا فإنَّــا نرتجِـي اللـهَ

* * *

2 -قصيدة بعث بها لتقرأ بالروضة النبوية الشريفة، وهي رسالة منه إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ينوه فيها بالمدينة المنورة والأماكن المقدسة، ويتحسر على ما فاته من الوصول إلى تلك البقاع للحج والزيارة :

إليْكَ رسول الله يا روحَ مهجتِي أقدِّم تسليمي وأزكَى تحيَّةِ
إلى روحك العليا وتربتك التي لها الشرف الأعلى على كل تربة
وأشرح عذري في التخلف عنكمُ وعن فرض حجّي واستناني بعمرة
لضعفٍ عرَا جسمي، ووهنٍ بأعظمي ورقة صبري، واختلالٍ بصحة
أُراني لا أقوى على شقة النَّوَى ولا أستطيع حمل تلك المشقة
وإن كان بذل النفس فيكُم لهيّناً إذا حظيت عيني إليكم بنظرة
أهُم بأمر الحزم، لو أستطيعُه وقد حيل ما بيني وبين عزيمتي
فجُودُوا، إذا لم يكن الوصل يقظة على عبدكم في النوم منكم برؤية
على أنني رغم العوارض لم أزل أُأمِّل تسهيلاً لإدراك رغبة
أتيتُ بقلبي للحمى متوسلا ومستغفراً من كل ذنبٍ وزلَّة
فباب الرجَا فيه التعلل بالمُنى وفي اليأس قبض الروح عن روْح رحمة
لأسعد في لثم التراب الذي مشتْ بها قدم لا نَتْ لها صمّ صخرة
أشاهد ثَمَّ مهبط الوحي والهدى ومأوى به الأملاك حامت وحفّت
أزُور به قبراً يواري نبينا ويكبر تعظيماً لخير البرية
هو المشهد الأسنى، هو الموضع الأسمى، هو الروضة العليا على كل روضة
هو البقعة الشمَّا التي فاقت السَّما هي جنةٌ قد طاولت كل جنة
ضريح به خير الورى وشفيعهم وسيّدهم مجداً، وواحد رفعة
ضريحٌ توارَى النُّور فيه وما خبا على أنه يزداد في كل لحظة
ضريحٌ يضِيعُ الطيب إن ضاع عرفه ونفحته تعلو على كل نفحة
مكان له عند الإلهِ مكانة فرتبته قد صغَّرت كل رتبة
يجاوره صدّيقه خير صاحبٍ وأخلصهم في خلّة ومودة
وأولهم من بعده في خلافة وأقومهم فيها بأحسن سيرة
وكم جاء في القرءان من آي فضله وفي غار ثور مَفْخَرٌ في المَزية
إذا هو ثانيَ اثنين لا ثمّ غيره يزجي النبي حزنه بالمعيَّة

وناهيك فضلا صهره لنبيه … وتقديمه للناس في حال حضرة

ويتلوه قبر قائل الحق جهرة … وفي الله لا يخشى إثارةَ لومة

هو عمر الفاروق أعدل حاكم … وأصدقهم لله في كل لهجة

هو فاتح الأقطار شرقاً ومغرباً … وبابٌ حصينٌ مانعٌ كل فتنةِ

فيا طيبة الزهراء فزْتِ برفعة … من العليّ الأعلى وخيرٍ وحرمة

فأنتِ لك الفضل العظيم الذي به … أرى عمراً أعلاكِ من فوق مكة

وذاك به أفتى إمامنا مالك … وأيَّد فتواه بأوضح حجة

وكيف وقد ضُمّت إليكِ خصائص … تقاصر عن إحرازها كل بلدة

فلا يعبث الطاعون فيك بساحة … وأنت من الدجال في حرز عصمةِ

وأنت التي تنفي الخبيث لخبثه … وينصع فيكِ طيبٌ بالطويةِ

وإن أحد أومَى إليك بمكْرهِ … أهينَ وأضحى حاملا وزر لعنةِ

وأهلُكِ قد أوصى بهم سيّد الورى … وقال حقيق عندكم حفظ جيرة

وسكناكِ في قيد الحياة مفضل … وميْتك يهنأ باقتناء الشفاعة

دعا لكِ بالخير خاتم رسْله … دعاء مجاباً لا يشاب بخيبة

ترابكِ فيه البرء من كل عارضٍ … من الداء في إخلاص عقد ونية

وفي تمركِ المعسول جاء مبينا … شفاء سريع من تطاول علّة

فعجوتكِ السمرا مِن السم نافع … تناولها للناس أوّل بكرة

بها عالج المختار سعداً وقد شكَا … فؤاداً بسبع عجوةٍ بعدَ وجْأة

فعالِج بها في صدق قصد تبركا … وتحسين ظنٍ، واعتقاد لِحكمَة

وفي رمضان إن يصم بكِ صائم … يضاعفْ له في الأجر في ألف مرّة

كمثل صلاة جمعة إذ أتى بها … حديث كما قد قيل في كل قُربة

ومسجدكِ الأسمى أناف بفضله … وخُصّ بقطعٍ في تحقق قبلة

ومن قرَّ فيكِ ثم أقلع جافياً … فقد ساء في مسعاه أسوأ جفوة

ومن عاب فيكِ تربةً وازدرى بها … فحقّ له التأديب ضرباً بدرة

وقد كان قال مالك في الذي أتى … بذا القول وهو ذو اعتلاء وعزة

بسجن وضرب من ثلاثين ضربةً … وقال حَرِيٌّ أن يقاد بقتلة

وأنتِ كبيت الله في الحرمة التي … تصانُ بها عن طرد وحشٍ وظبية

وفيكِ مزاراتٌ جليل مقامها … لها صالحو الزوار زارتْ وأمَّتِ

ويحظى البقيــع إذ حوى كل فـاضل   من الآل والأصحـــاب أو ذي مـــبرَّةِ
به خير الأصحــاب والعمَـــد الــتي   بها قـام هذا الدِّين فــي خيـر ملــــةِ
وقـد قيل في تعدادهم في قبـــورهم   بـعـدة ءالاف تحـــــد بـعشــــــرة
ومن فضله أن كـــان مدفن آلـــــه   وبضعته الأزكـــى لــــدى كل بضعـة
بـه دفنت مولاتنــــا نخبـة الـورى   وذروة هــذا الكـون مـن دون مِريـــة
هي الزهرة الزهرا، هي الغرة الغـرا   هي الـذروة العليــــا علـى كـل ذروة
ابنهـا جليـــل القــدر وابن جليلـــة   وسيـد ذي الدنيــــا بمجد وفطنـــة
هو الحسن الموصوف بالعلم والتقى   هو المصلح المحمــود في كـل خصلـة
بـه أصلح الله الفســـاد الذي سعى   إليه ذوو الأهــــواء في بــثِّ ثـورة
ومشهـد إبـراهيـم نـجــل نبينــــا   يضيء بـه نـــــوراً كثاقب نجمـــة
فقِيـدُ رســـول الله حـــال حياتـــه   صغـــيرا، ولــكن أكبرٌ فـي المصيبة
بكـاه الرسـول خـــاشعا لفــراقـه   وأجـــرى عليـه دمعة بعــد دمعـة
ويروى لدى الحفـّــاظ أنـه لو بقـي   لكــــان حريــاً قــدره بالنبــــوة
وفيـــه لأزواج النبي مَشــــاهــد   تفردْن في تلـك القبـــور بقبـــة
وفيـه ابن عفـــان توارى لفضلــه   شهيـــدا من الأعداء في سـوء نكبة
أحـاطوا بـه في وقعـة خجلت لهـا   وجـوه ذوي الإسلام، والأرض رجتِ
ولـكنه الموسـوم بالجـود والنـدى   وبسـط الأيـــادي للنبي ببهجـــــة
وقد قـام في الحـــال الشديـد ببذلـه   وجهز جيشـا للغـــــزاة بـعُسـرة
فأنفـق مـــالاً لا يـعدد كثــــرة   وأعطــى عطـاء دون خشيـة عيلـة
وقـــال النبي إنـه بعـد هـــذه   يفـوز ولا يخشـــى انخزالاً بعثـرة
وفضل قبـــاء في المســاجد بَيِّـن   إذ أُسِّس للتقـــوى من أول مــــرة
وفيه رجال جـاء في الذكر فضلهم   وأنهــمُ فـي الطهر أهـل محبـــــةِ
وفيه صــــلاة المرء يعظم قدرهـا   كأجـر اعتمـــار في توفـر أجـــرة
وكـان رســـــول الله يركب نحوه   بسبت وفي الاثنيـن من كـل جمعـــة
ولم تزل الأصحـاب بعد وفــــاته   تؤمـه حفظــاً واتبــــاعاً لسنـة
وفي مسجد الفتح الفضـــائل جمـة   فكل دعــــاء آيـب باستجـــابـة
بـه نزلت "إنـا فتحنـا" ففُتحــت   بهـا لدخـول الديـــن أبواب نصـرة
وقال النـبـي إذ تلقـــاهـا إنهـــا   أحب من الدنيـــا ومـن كل زهـــرة

وفي أحُدٍ نور السعادة ساطع ... لقد خصَّ من بين الجبال بأثرة
يحب النبي والنبي يحبه ... وحبه حقاً واقع عن حقيقة
به شهداء لا يقاس لفضلهم ... شهيد وإن أربى على كل نسبة
وفيه مقام للشهيد الذي سما ... وعُذِّب في ذاتِ الإله بشدة
شهيد له أهل السماوات[ ] ... وغاظ له المختار أكبر غيظة
هو عمه الأدنى، ومن أسد غابة ... فاعزز به من حمزة خير أسرة
مزارته في كل حين يؤمها ... جموع تَوالى دون قطعٍ وفترة
وقد كانت الزهراء تاتي لقبره ... فتبكي إذا اشتاقت إليه وحنَّت
وكان يزور المصطفى شهداءه ... ويأتي إليهم كل عام وحجة
ومن بعده قد زار كل خليفة ... وجاء إليهم لاعتبار بعبرة
ووادي العقيق إن ترد برد مائه ... تجده رحيقا في انسجام ولذة
وفيه بسيطٌ للمُقام مبارك ... له عن رسول الله أبلغُ مدحة
وقال أبو حفص إذا جاء ماؤه ... أتينا فمسحنا به خير مسحة
وحسن هواه في نواحيه منتجٌ ... مَشيد قصور رائقات لنزهة
وراق لأهل الشعر لطف مناخه ... فجادت بأحلى الشعر فيه وغنت
معاهد تندى العين عنها بدمعها ... وتشتاقها الأرواح في كل روحة
ولكنه إن حال حال لوصلها ... فليس محالاً وصفها حال فكرة
ويا حسرتى أن فاتني غسل رَابِغ ... ولبس ردائي واشتمَالي بأزرة
وأخذي هديي واستناني مصلياً ... صلاة تقام ركعة بعد ركعة
وتلبيتي للهِ في كل ما عَلتْ ... به ناقتي في ربوة بعد ربوة
أأُم إلى تلك البنية مُحرماً ... بقرن اعتمار، أو بإفراد حَجة
وفي ذي طوى أطوي ذنوبيَ قاصداً ... لباب كداءٍ حيث تلك الثنية
وأدخل من باب السلام مسلماً ... على الحجر الأسنى بلمس وقبلة
أطوف ببيت الله سبعاً موالياً ... طواف قدوم وهو أول قدمة
وأصفو من الأدناس بالسعي في الصفا، ... ويُحلي مَرارتي المُرور بمروة
وترْويتي في ثامن الشهر في منىً ... ثُروي أُواري، إذ أبلغ منيتي
وفي عرفاتٍ أجتني من معارف ... بها تنجلي عني جهالة غفلتي
أرى أمة المختار تعنو وجوهها ... وأصواتها لله بالذكر ضجَّتِ

لغاتهم شتى، وقصدهم واحدٌ   وكل إليه مسلمٌ وجهَ وجهة

وأشهد جمعاً لا يحاط بحصرهم   كأنه يوم الحشر أول وقفة

وأرمي الجمار رامياً كل خطوة   يوسوس لي الشيطان فيها بخطأة

وعند إفاضتي أرى الفضل فائضاً   على الركب من سهل ومن فوق هضبة

وفي مشعري أرجو قبول شعائري   وإدمان ذكري، في مسيري ورحلتي

(بعد هذا ترك، رحمه الله، بياضا وكتب بهامش الصفحة: "هذا بياض أبقي لأجل إلحاق ما بقي من 10 أبيات ضلَّ عني موضعها". ثم استأنف قصيدته بقوله):

وأبكي بكاء لا تكُفّ دموعه   على بيْن بيت الأمن من كل شقوةِ

فيامن له حل الأمور وعقدها   وليس يغيب عنه مثقال ذرة

ولا يخفى في أرض عليه ولا سما   خفيّ ولا أخفى، ولو مر خطرة

أضفني إلى ركب الحجيج وعمَّني   بأفضالك الفياض في ذي العشية

وهب لي منك نصرة ورعاية   تكون لي الحسنى بها عند ختمتي

بحق الذي فضلته وأضأته   سراجاً لنا كالشمس لاحت بضحوة

عليه صلاة منك ما هبّت الصب   وطابت لنا الأنفاس من طيب طيبة

* * *

3 -توشيح في معنى المولد والإسراء

هل دَرتْ شمس الضحى إذ طلعت وأذاعت نـــــورها في الأفُقِ
أدَرتْ من أي نـــور سطعـــــــت نور أسمى الخلْق سامي الخُلقِ

دُرة الكــــون وسـر الثقلـين
مرشد الخلق إلى مُثلى الطريقْ
نــاصر الحق بتشديــــد ولين
فهْو في اللـه برق وبريــــقْ
يَعد الطائع مــأوى الجنتـين
يُوعد الطاغي بعذاب الحريقْ

نوره الوقـاد في الكون سرى فمحا عنهم سوء الضلال المحدقِ
وانجلى الشـك لديهم وانمرى إذ بـدا الديـن كبـدر مُشـــــــرقِ

جــــاد من أنفسنا أنفسنــا
علـم الحكمة والذكر الحكيمْ
ضاءت الأرض بهـاء وسنـا
إذ هداها للصــرط المستقيمْ
[ ]
[ ]
بدأ الوحي برؤيا ارتسمت وأتت في صدقها كالفلق
يالها من رؤيا حق بشرت برقى في العلا بعْد رمق

ألِف الخلوة عن كـل أليـــفْ
فأتاه الحق في غـار حـــراءْ
جـاءه جبريل بالديـن الحنيفْ
خاليا عن كل اشتباه وافتـراءْ

ضمّه في صدره ضم اللطيفْ
لتلقـي النور من رب السماءْ

عاد والخشية تعلو والحياءْ من شديد الجهد مما لقِي
زملوني زملوني بغطـــاءْ إنني من حالتي في قلـــقِ

وأتـى في حالــه مرتعـــــدَا
مخبرا زوجته خيــر النســاءْ
فسرت عنه بلطـف مــا بــدَا
بيمين لاترى خـزي البــــلاءْ
أنت تقري الضيف والدهر عدَا
تحمل الكل وتغني الفقـــــرَا

وتوالى الوحي بعد وانجلى بنزول الذكر حال العرقِ
وتلقـى بثبـــــات وتــلا فاتحاً باللــه ءاي العلقِ

زاد في تشريـــفه إذ قدمـــا
سيد الأمـلاك برقيه البــراقْ
رق فـي تدليله لمـــا رَقَـى
جامعا في نفرة عن أن يساقْ
رد فـي نفـرتـه إذ أقسمـــا
انــه خيــر نبـي لـــــه راقْ

فنحا المقدس يسري في الدجـا طاويا في الحين أقصـى الطرقِ
وهنـا الوفد الرسولي ابتهجـــا إذ بـه صلى الرســول المرتقِي

ثم في المعـراج من بعد سما
إلفـه الروح الأمـــين المنتـقى

فارتقا السبع سماء فسما
وبها خير النبيئين ألتَقَى
وجرى في إسرائه إذ يمَّما
مرتقى عنه السوى قد أحجما

فاستوى السدرة حيث المنتهى ودنا يسمع خط [ ]
رتبة من ربه قد نالها خصه الباري بها في الأسبقِ

زجَّ بالنور به نور النّهى
عالم العزة والملك البرِي
في مقامات علت أمَّ لها
للتجلي واللقا والنظر
ومعان ومعال حلَّها
لم تكن إلا لَهُ في القدرِ

وأتى من إسرائه مبتهجا مخبراً أمته حسن الّلقي
سعد المؤمن حيث انتهجا منهج التصديق، والخب شقِي

طلعت طلعته والكفر عم
وظلام الجهل يكسو كل حيْ
فمحا بالنور مسود الظلم
وطوى الكفر بحق أي طيْ
وتحلى العلم في محلاه الأتَم
وغدا مفخر كهل وفُتِيْ

ألّفت البعثة ما افترقا من قلوب وزعت في فرقِ
وبدا الكل بكل مشفقا وعلى مورد ودِّ يلتقِي

لم تزل أمته رغم العـــــدا
تهتدي في إسلامها طلق العنانْ
بذلوا الجهد بتحكيـــم المُدى
وبتضليـل وتحبـيــــر البَنَانْ
وهو نـور في القلـــوب اتقدا
ليس يطفيه لســان أو سنـانْ

أمـة مسبوقة في الزمـن **وهي في تفضيلها لم تسبقِ**
كم لها من ربـها من منن **من نبي في العلا لم يلحقِ**

أمة الإسلام قومـوا وانهضـوا
واقصدوا في سعيكم نحو الأمامْ
وهُم القوم العـــدا قد ركضـــوا
واستعَدوا بصـــواريخ السهامْ
فاجعلوا الوحـــدة أنتـم تفرضُ
واتّــحــــاداً بينكم قبل السهـامْ

لو أقمنا الدين ما خفنا العدا **ولكُنا في الرعيـل الأسبـــقِ**
وعلت دولتنا طـول المَدى **في رُبى الغرب وأقصى المشرقِ**

ربنـا إننـــا مددنـــــا كفنــا
بخُضوعٍ وانكسارٍ في القلوبْ
فبعـزّ وبنصـــرٍ حُفَّنـــــا
لا تـؤاخذنـا بتكثـير الذنوبْ
وارحـم اللهــم ربي ضعفنــا
يـا كريماً من دعـــاه لا يخيبْ

* * *

4 - أبيات في انبساط النبي، صلى الله عليه وسلم، مع الصحابة:

وكان ينبسط للصِّحـــابِ   بالمزح لا يعدو عن الـصوابِ

كقوله لأنس ذا الأذنـــين   مداعبا له بـحق دون مـين

وقال في مزاح ذي نُغَـيْر   وهْو صبيٌّ يا أبـا عُمَـيْـــر

وإذ أتاه رجل يستحمـــلُ   قال على ابن نـاقة ستُحْمَـلُ

وزاهر باسـطـه وجـــدّا   فقال من يشتري هـذا العبـدَا

وقال للعجوز ليست تدخلُ   جنةَ عدْنٍ إذ أتتـــه تســـألُ

* * *

5 - نظم أجداد النبي، صلى الله عليه وسلم :

إن رُمتَ أجداد النبي النّبَـلاَ	وعدّهم لِرفْع نَـازل البَلاَ
فهو محمد بن عبد اللـــهِ	فشيبة الحمد الكبيرالجاهِ
وهو الذي يُسمى عبد المطلبْ	وحفر زمزم إليه ينتـسِبْ
ومنها أخرج كنـوز جُرهُـم	من ذهب أثبته في الحرمِ
فهاشم واسْمه عمرو ذو العُلا	عبد مناف من قُصي نُبـلاَ
ثم كـلابٌ مُرةٌ فكعْـبُ	ثم لؤي غـالب لا يكْبُـو
ثم جمـاعُ القرشي فـهْـرُ	فمالكٌ ثم يلـيه النَّضْـرُ
كنانـة خزيـمة فمُدركـةْ	إياسُهم فمضر لن تترُكـهْ
ثم نـزار بعده معـدّ	عدنانهُم والفوق لا يعـدّ

* * *

6 - نظم أسماء فقهاء الصحابة الستة، الذين كانوا يفتون في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم :

سِتٌّ مِن الصِّحَابِ فِقهًا سَادُوا	وبلّغُـوا الأمة مَا اسْتفَـادُوا
أفتـوا بمَـا رووا عن النَّبيّ	وانتهجُوا في نهجـه المرضيّ
وهو لديهم حــاضرٌ مقيــمُ	وبالّـَذِي أفتـوا بــهِ عليــمُ
علي عثمان وتربهم عُمــرْ	وكلهُم مهاجـــر عمّن كفرْ
أبيٌّ وابن جَـبَل وزيْـــــدُ	جميعهم أنصاريّ إنْ عُــــدّوا

* * *

7 ـ نظم أسماء الأئمة أرباب المذاهب الفقهية، فيما عدا الصحابة، إذ لم تدوّن كتبهم :

ذَوُو الاجتهاد وقد قلدُوا	فأوَّلهم حسنٌ تابعيْ
فنُعمانُهم بعده الأوْزَاعي	فثورٌ مع مالك الورع
كذا الليثُ فابن عيينةَ معْ	إمام الورى القدوةِ الشافعي
فطود العُلا أحمدٌ إثرَه	فإسحاقُ بدر السَّنا اللامع
أبو ثورِ فالظاهري حذْوه	كذا الطبري عمدة الشارع

* * *

8- أبيات في التذكير بالآخرة والحَث على التقوى :

تجرَّد عن الدنيا ودع زهـــراتها فإنك عمــا أنت فيــه مُســـافر

وأعدد لذاك القصد زاداً من التُّقى فما فـــاز إلا من بتـقواه ظافر

وأكثر من الأذكار في كل ساعــةٍ وقدِّس إلَهَكَ بالجـــلالةِ ظاهر

وكن لكتـــاب الله بالقلب تـــاليا تدارسهُ لفظاً وبالفكر حـــاضر

فإنــه أمر اللــه فِيـــنا وسِــــرُّهُ ونورٌ على الأكوان ضوءه باهر

سراجٌ منـــير في قلــوب منيرة وسيف على الأعداء بالحق باتر

فـدم تـــالياً في حبلـه متمسكــــاً تجده مجيراً يوم تُبلَى السَّرائـــر

* * *

9 -ما قاله في حقارة الدنيا وأنها ظل زائل :

حيــاتنا كلهــا خيـــالٌ ... وحرصنا في البقا خبالٌ

ومكثنــا إن يطل فظــلٌّ ... والظل[من] شأنهِ النّقالُ

وكل مــا نقتنــيه فيهــا ... من نشبٍ فقده المـَآلُ

وكثرة المـال والأهـــالي ... فتنتها مـا لهـا انفصـالُ

وطلب العز في التولـّـي ... في خطة عزلهـا وبـالُ

فليس في ذا الحيـاة خير ... سـوى من البر ما ينـالُ

مِن ذكـرك الله كـل حيـن ... في خلـوة عزها اعتـزالُ

وكَتْبِ علـم، ودرْسِ آي ... وسُنّةٍ ما بها اعتـــلالُ

وإن تصاحب فصاحب قوما ... لم تلههم ثـروة ومـالُ

وآثـر الزهـدَ والتَّجـافي ... عن منـزل سِلْمُهُ نـــزالُ

والنفس منـه إذا اطمـأنت ... في لحظة راعها ارتحالُ

هذا وإن قلتُ قـولَ حـــق ... قد خالفت قولي الفعـالُ

وقد تحمّلـتُ من ذنـــوب ... ما ليس تحمله الجبالُ

يا رب عفوًا فأنت أهْـلٌ ... إذ وصفُك الجودُ والجمالُ

يا أوّل مـا لـه انتـهـــاء ... وآخـر مــا لـهُ زوالُ

وظــاهر حــاضر لدَينـا ... بعلمه ما لـه مثـــالُ

وبَــاطن لا تَـراه عيْـن ... حجــابُه العز والجـــلالُ

آيـاته في الآفـاق تُتلَـى ... يقرأها ذُو حجـا وبـالُ

والغـافل الملحد الجهول ... أعماه عن دركها الضلالُ

يا رب زدنـا بها يقينـا ... وثـقة عنــها ما نُخـــالُ

ثم صـلاة على رســول ... قد زان أخـــلاقه الكمـالُ

والآل والصحب أهل نُبلٍ ... وفي قلوب العِدَا نبـالُ

* * *

10 - أبيات في حال الفقير وحال الغني :

أفضل النـــاس فقيرٌ	صابر لله عـــابدْ
راحةَ النفس اجتباهـا	وفـراغ للمســاجدْ
وهو في العرض خفيف	لم تثقلـه الفـوائـدْ
وأخو الثروة يمضـي	وهو في نُعماه ناصبْ
لم يزل في شغل بـال	وعنـــاء ومتـاعبْ
حملـه فـي ذا ثـقيـل	عند تشديد المحـاسبْ

* * *

11 - أبيات في اغتباطه بالعزلة والاشتغال بالعلم :

إذا خلـوتُ بنفسِـي	وتهتُ عن كل إنسِ
لاَحَت لديَّ المعـاني	وغبْتُ عن كل حسّ
وطاب عندي اتجاهي	لخـالقي وهو أنسِـي
وراحتي وابتهـاجي	في كتْب علم ودرْس
وفي تلقي علــوم	من فئة تحت رَمْس
خطـابهم في سُكوتٍ	يَعلُو خطـابة قُسِّ
لكي أُزاد في علمـي	في كل يـوم وأمْسِ

* * *

12 - أبيات أيضا في اعتزاله الناس، واستئناسه بالقرآن وبما لديه من نفائس الكتب :

تركت هــوى ليلـــى وكـل عـــلاقـــة تذكرني ليلـى ومـــا لذَّ مـن وصــــلِ

وصرت أليـف البـيت فرداً بمـنزلـــي سليماً من التجـــوال في سقط القول

يؤنسني القــــرآن عـنـد توحشـــــي ويشغلنـــي ذكـر الإلــــه عن الشغـل

وصاحبت وصف الفصل عن كل صاحب ووصل التخلي لا لســـــوء عن الخـل

وما لي لا أخلـــو بنفسي وإن لـــــي نفـــائس أسفــــار تنـوء عن الحمل

بهـا كـل حبر نــــابغ في عـــلومـــه فما شئت من نقلي وما شئت من عقلي

أُحــــادث منهـــا كل من صـــحّ وده وأســـراره مصقـــولـة من صدا الغـل

تبين لنا في صمتهـــا عـن معـــارف تضل قضـــاياها عن الحـافظ المملي

* * *

13 - رجز له في العزلة أيضا واستعذاب الخلوة :

والمرءُ لا يَسلـمُ في ذا الوقتِ إلا بحبسِ نفسـهِ فـي البيـتِ

واعتزلَ الخـلقَ بقلبٍ وبـدنْ وتركَ الدنيـا ومـا فيها فتنْ

وآثـر الخمـــولَ والخفـاءَ ورفـضَ الظهـورَ والعـــلاءَ

واستعذبَ الخلوةَ جمعاً للفِكَـرْ في مُلكِ ربِّـهِ وفـي سِرِّ القدرْ

يتلو كـلامَ ربِّـه نَـــــهارا ولَيْلَـهُ، في سرٍّ أو جِهـــارا

يقومُ فيه يومَـهُ وليْـلَـــهْ ويستـقـــي نَهَلَـهُ وعَلَّـــــهْ

ويجتني منه علـوماً جَـمَّـةْ ويقـتـني فوائــدا مُهِمَّـــــةْ

يأخذُهـا عن ربِّـه دونَ سَنَدْ ليست بأخذِ عن سِواهُ من أَحَدْ

يفتحُ كل مغلَـــقٍ لـــهُ إذا أخلَصَ في القَصْـدِ ورامَ المأخذَ

واتَّسَـقَت لـهُ طريـقَ الفَتْـحِ وفازَ في الأخـرى بمحضِ الرِّبحِ

* * *

14 ـأبيات في التعلق بالله ورفض جانب المخلوق :

الجأ إلـى الله واطّـلـب	منـه المنـى والمزيدْ
فـإنـــــه المتــولــي	أمــور كــل العبيــدْ
ودع سـؤال البــرايـــا	فسؤلهــم لا يفيــدْ
إذ كيـف تسأل مــن لا	يفعل كيــف يريــدْ
وهـو قريباً سيفنـــى	وينـقـــضي ويبيدْ
ومــا البقـــــاء إلاّ	لمبــدئٍ ومـعيـــــدْ

* * *

15 - تضمين وتشطير، أو تخميس، لأبيات لغيره؛ فيمن يعتز ويغتر بالمال:

(عزُّ الفتى في الحياة مالهْ)	ونقده حدُّ لَهُ نِصَالُهْ
وبه يحلو لهم ويسمُو	قدراً ويبدُو لهم كمالُهْ
يُرى شجاعاً وإن تلكّا	وعاقلا قد فشا اختلالهْ
يفوق سحبَانَهم بياناً	وهو عيّيل بَدَا انحلالهْ
وفكره كلُّه مساو	وإن علت قبحه خصالُهْ
إن حضر الحفل لا يبالَى	به ولو أبْهجت خِلالُهْ
والرّحب من وقفه تشكى	وضاق من أجله مجالُهْ
ومقته إن شكَا شديدٌ	(وذله في الورى سؤاله)
(لا تغتر باعتدال حالٍ)	دوامه في الحجَا مُحالهْ
وكن من الدهر في انتباهٍ	فربما راعك انتشالهْ
أنت إذا طبت منه نفساً	(فعن قريب ترى زوالهْ)
يواصل المرء في صباحٍ	وفي المسا ينْجلي انفصالهْ
إن ساعد السعد في زمانٍ	من فوره ينجلِي انخزالهْ
حياتنا كلها كظلٍ	والظلُّ من شأنه انتقالهْ
(وكل ما قد تراه حتماً)	(لا بدّ من أن يحولَ حالهْ)
فالجأ إلى الله كل حينٍ	تحفظك يوم اللقا ظِلالهْ
واذكره ذكراً بلا فتورٍ	يكفيكَ ما تخشى اختلالهْ
فبه فاعتزّ، ومنه فاسألْ	يُغنيكَ عن غيره نوالهْ
وصلِّ صلاة بلا انقطاعٍ	على الذي زانَنا كمالهْ
محمدٌ سيِّدُ البرايَا	مَن عزَّ في كوننا مثاله

* * *

16 - أبيات في ترك الشكوى، وعدم التفاخر بالنعمى والبطر بها :

لا تشتكِ بشَـراً بلوَى أصبتَ بها　　　واكتمْ وأنت بحبل الصَّبر مُعتصم

ولا تكن فرحـاً بنعمـةٍ بَطـــــراً　　　بل شاكراً خاضعـاً بالذل مُتّســـــم

إذْ لا ترى اليـومَ إلاّ شانِئاً شَامتاً　　　أو حاسِداً يرتَجي لوْ أنتَ في عدم

* * *

17 - أبيات فيما كان يتوقعه من الانتقاد :

أتعبتَ نفسك في عِلم تُردِّده ... وأنت لم تر قطّ منكَ مستمِعا

إن كان ما قلتُه حقا كفى ونفَى ... عنِّي الملاَم إذا ما كنتُ ممتنعا

أقول حقا فمن ينقد له سَامِعا ... ينل به حظه إن كان متّبعا

كتبتُ هذا وما قصدي به سمعة ... ولا جزاء ولا شكر الذي له سمِعَا

* * *

18 - أبيات في سبب عدم إجابة الدعاء :

دعونا الإلــه لحـاجاتنـــــا فما للإجابة عنها انتفتْ؟
لأنـا عرفنا الإلــه ولكننـــا طريقُ الهداية عنا اختفتْ
وقلنا ادعاء نحب الرسـُـــو لَ وأعمالنا نهجه خالفتْ
ونتلو من الذكـر آيـــاته ولم نتبع فيها ما وصفـتْ
ولم نألُ جهدًا في لعن الرجيم وأفعالـنا إثرهُ قد قفـــتْ
نعد خطايا الورى سُبّـــة ونلفي مساوينا [قد] طفـتْ
فهذا الذي سدّ بـــاب السما وحاجاتنا دونها وقفـــتْ
ولا كنـنا نرتجي عفــــوه ولو أن أعمالنا ما صفتْ
فيا ربّ تُب وتجـاوز علـــى عُبيدٍ أثيم، وقوته ضعفـتْ

* * *

19 - رجز في نفي العلة والطبع :

ومسندُ الأفعــال للأفــلاكِ أو غيرها يُعد في الإشــراكِ

كمسند الإحراق والإشــبــاعِ للنار والطعم بــلا نـــزاعِ

بل كل من يجعل تأثير السببْ بطبعه فكفره حكم وجــبْ

ومن يقل بقوة قد أودِعـــتْ من ربها فهي طريق أبدعتْ

وقيل بالتكفير في ذا العقـــدِ لأنه عـدا طريـق الرشـــدِ

والحق أن الله جلّ وعـــلا أجرى بقدرته [ما قد] فعـــلا

عادة ربط الحـرق بالنيــران والري بالميــاه في أحيــانِ

دُون لزوم، وهو،إن شاء، خرقْ تلك العوائـد، وغيّـر النَّسـقْ

* * *

20 - نظم لمضمن ما قيل في حديث ماء زمزم :

وماءُ زمزم لمَا لَهُ شُربْ وفي حديثهِ مقالٌ مضْطربْ

فبعضُهم صحّحهُ كالحَاكمْ والدّميَاطِي والمُنذري العَالمْ

وبعضُهم بوَضْعِهِ قد حكَمَا والضّعف قولٌ لكثيرِ العُلمَا

وأعدلُ الأقوالِ أَنَّهُ حسَنْ إذ كَمْ بهِ مِنْ شاربٍ نالَ المِنَنْ

وصوّبَ الصحة في "الإرشاد" دُون تعلُّلٍ ولا ارْتِدَادِ

* * *

21 - وقال في معنى حديث: "كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا" الخ :

كل واشربن والبس دون سرفْ ولتتصــدق دون كبر وتــرفْ

واشكر إلَهَك الذي فـاض وعـم إنعامُه في حادث وفي القِدمْ

وصلِ كـل لحظة علـى النّبـــي محمد خير نبــيّ اجْتـــبِي

وآله وصحبــه أهـل التّقـَـــى ومن بهم عند الجفاف يُستقى

فاسق بهم أيــا مغـيثا بلدتـــكْ وانشر بهم أيا كريما رحمتـكْ

لأنـهـم من أهل ذاك المصطفــى وباتّباعـه صفـَا من قد صفـَا

أنت الذي تجـيب مـن دعـــاك ولا ترد ســـــائلا أتـــــاك

* * *

22 - تذييله لبيتين لابن عبد البر، في الرد على من عاب عليه أكل طعام الأمراء، وتأييده :

أنـت لا تعـرف شيئـاً — مـن فتـاوى العلمـاء

لا، ولا سيـرة صحـب — هـم محـل الاقتـداء

وإمـام تابعـي ذي — اجتهـاد واهتـداء

إذ أباحـوا الأخـذ منهـم — دون رد أو إبـاء

قبلـوا منهـم صـلات — ومـرتـب القضـاء

بـل تولـوا وأقـامـوا — شـرع خيـر الأنبيـاء

وجـرَوْا فيمـا أنيطـوا — بـه مـن فصـل القضاء

نـهـج عـدل واحتفـاظ — بحـقـوق الضعفـاء

لا يراعـون ملـوكـا — أو كبـار الـوزراء

يجعـلـون الحـق أعلـى — مـن حقـوق الرؤسـاء

فـالـذي يـطعـن فيهـم — فاقـد وصـف الحيـاء

* * *

23 - نظم المسائل التي يجـري فيها الجبْر الشرعي :

ويُجْبرُ ذو ملك علَى بيْع مِلكــــــهِ   بشرعٍ لأسبــاب تفسّر في عشــرِ

فذو الزرع يخشى اليُبس، إذ جفّ ماؤه   فيقضى على جــارٍ بسقيه للضـّرِ

كذا عَطِشٌ، والجبر في بيع مُصحــفٍ   ومملوك إســلام يكـون لِذي كُفـْرِ

ومُحتكر للقـُـوت عنــد مجــاعَــــةٍ   وتوسيـع بيت اللهِ للخمسِ والذكـرِ

وذو موضع يُرجَــى لتشييــدِ معقِــلٍ   وَحصن يؤمّــه المُروَّع في الثغـرِ

وصَاحِب مملُــوكٍ يُــــرادُ لحَـــاكِم   ظلومٍ يسُوم الناس بالظلم والجَورِ

ومأســور ذي كفـر يقـول فــــداؤهُ   عبيد فُـــلان فليفدَّى بـذا الجبْــــر

وجَـــار طريـق إذ تضيــــق بـــِوَاردٍ   توسَّع من أرض المُجــاور بالقَهْرِ

وفي الخِرْشـي والزّرقاني زِيدَتْ مقابرٌ   تضيقُ فجَبْر الجار في أرضه يَجْري

وأصْلُ الَّـــذِي قدْ مَـرَّ رَعْي مَصَــالحٍ   تعُمّ بقومها على العدلِ في الأمْـــرِ

* * *

24 ـ نظم الخصال الحميدة التي تفعل في يوم عاشوراء :

صُمْ بعاشُورَاء وَصلِّ واحْتسِب
وصِلْ أقاربًا إليك تنتسبْ

واعْن بذي اليُتم بمسْح رأسهِ
وعالمًا زُرهُ التماس أنسهِ

وطهّر الذّات بالاغتسالِ
ودَاو عينيك بالاكتحالِ

وقلّم الأظفار دفعًا للدّنسْ
ووسّع الإنفاق من بك أمَسْ

و(قُل هُوَ اللهُ) اقرأنْهَ ألفَا
تنل مُناك والذنوب تنفَى

وعُد مريضا سَائلاً له الشّفَا
ووَاس مَن دهره نالَ الجفَا

وكُلّ ما ذُكرَ من خصَال
لها أصول تدرى بالسؤال

والذي صحّ مِنَ الأخبار
خصوصه الصوم بلا اعتلال

كذلك التوسيع للعيال
توسطا دون ضياع المَال

ومما يدعى به وهُو مَاشِي
لطول عُمر دعوة العياشي

عن شيخه العارف بالأذواق
علامة الأسماء والأوْفَاق

الحنفي المكي ذي العلوم
مبرّز الميدان في الفُهوم

والشيخ جنون لذا انتقاهُ
من قولة الأجهوري وارتضاهُ

ثم عن العياشي أيضًا نقلهْ
وفي حواشيه اصطفى وقبلهْ

فاعمل به وحسِّن الظن ودعْ
قولك إنَّ ذا باطل من البدعْ

فإنَّ أهل الله أهل الدّين
أقوالهم تصدرُ عن يقينِ

فإن يكن هذا الدعا لمْ يستندْ
إلى حديث أصله عنه وردْ

إما لما صحّ لهم منَاما
أو ألهمُوا ألفاظه إلهاما

فسلِّم الأمر لأهل اللهِ
تسْلم بِذَا من أكبر الدَّواهِي

* * *

25 ـ نظم مسألة طواف الحائض طواف الإفاضة :

وحائض تفعل كل منسك ... عدا الطواف حائضا فلتترك

إلا بطهر واغتسال وَاجِبْ ... ومكثها للطهر حكم لازبْ

ويُحبس الكرِيّ للمركوبِ ... إلى انقضاء حيضها المكتوبِ

فإن أبى ومكثها تعذرا ... مُفردة فلتعزمَن السفرا

ثم تعود لتمام حجها ... في قابل ولو نأت في فجها

ولا تحلل على المعوَّل ... بل فرضها لا بد من تكمُّل

وقيل حكمها كحكم المحصر ... تحليلها بذبح هدي قد دُري

وللإمام "الشارح" الزرقاني ... الأخذ بالرخصة في ذا الشان

إما بتقليد مقالة أتت ... عن مالك من أهل بصرة بدتْ

من أن من ترك جهلا أو نسِي ... إفاضة فإنه غير مُسي

أو أن تقلد أبا حنيفة ... في صحة الطواف دون حيفة

لكونه لا يوجب الطهارة ... لمن يطوف إذ رأى اختيارهْ

وله في ذا القول كم موافقْ ... يرى برأيه ولا يشاققْ

وفي اختلاف العلماء رحمةْ ... والكل فضل ربنا ونعمةْ

* * *

26 ـ نظم مضمن جواب سيدنا علي بن أبي طالب، وفيه قواعد من مصطلح الحديث :

وكل عِلـمٍ قد أتَـى به الخلفْ	أصوله معروفة عند السَّـلفْ
لِذا ترَى أن علوم المصْطلحْ	وضعَها علي كمـا قد اتَّضـحْ
بحر العلوم والمعـارف ومـنْ	يُدعى لحل مشكلٍ إذا مـا عَنْ
فقد أتـاهُ سـائلٌ عن البـدعْ	إذْ عظم الخرقُ لديهم واتّسـعْ
وكثُر الخِـلافُ في ذَا العصْـرِ	والحق لا بدَّ لـهُ منْ نصْـرِ
أجَـابَ أنَّ الآنَ عنـدَ النَّـاسِ	حقًّا وبـاطِلاً بـلاَ أسَـاسِ
وفيـهِ مَكْذُوبٌ وفيـهِ صـَادِقْ	يعْرفُهُ مَنْ يَدري الحَقـائـقْ
واختلطَ النَّاسـخُ والمنْسُـوخُ	وهو الذي اعتنَى بهِ الشيُوخُ
وفيه عـامٌ وبـه الخصُـوص	بفحْصِها تتَضـح النُّصُـوص
والمُحكم الذي في معناه ظهرْ	والمتشابه الَّذي عنَّا اسْتتـرْ
إذْ بعلمِهِ ربّ البريـةِ انْفَـرَدْ	واللهُ أعلـمُ بمـا به قَصَـدْ
وللرُّواةِ طبقَـات أرْبـَعُ	لا خـامسَ لها كما ستسْمـعُ
منافـقٌ في مَظْهرَ الإسْـلامِ	لا يَهْتـدِي للحـل والحـرَامِ
يكذبُ عمْـداً فَاقدِ الأيمَـانِ	مقـربٌ إلَـى ذوي الخِـذلانِ
لِكيْ ينـالَ منهمُ الأوْطـارا	ويتـبَوَّأ بـذَاكَ النَّـارا
ورجلٌ روَى الحديـثَ صـادقا	ليسَ مُخـادعاً ولا مُنَافقـا
لكنَّـهُ يهمُ فـي الرِّوايَـةْ	دونَ تعمّدٍ ولا درايَـةْ
فلَـوْ تنـبَّهَ لـذَاك لرَجـعْ	وانقـادَ للحق وللرّشـدِ رجـعْ
وثـالث سمعَ أمْـراً فاتمـر	به، وفي الفعل بـه قد اسْتمـرْ
لكنَّـه نُسـخ بعْـدَ ذاكا	ولمْ يصلْـهُ نسْخهُ هُنـاكا
ورابعٌ بالحفظ والضبط ارتسمْ	روى الحديث دون سهْوٍ أو وهَمْ
ذُو بسْطةٍ في العلم معْ رسُوخٍ	يدري بهـا النّاسخ مِنْ منْسُـوخِ

* * *

27 ـ أبيات في مدح شيخه ابن الأبار، وذكر أوصافه ودروسه :

ما زهرة الدنيا والأمَـاني ولـذةُ الأمـنِ والأمـانِ
وأرَجُ الزهر في رياضٍ وَرَنَّة النَّقْرِ بالـمثاني
بأحلى من مَحْفَلٍ حَفيل حُفَّت به أنجمُ المعَاني
تُدَارُ فيه كـؤوسُ فِقهٍ يا فَدا من بها سقاني
لله تلك الـدروسُ تُلقَى وهي لدى النَّقد كالجُمَانِ
يُمليها حَبرٌ لدينا فردٌ ليس له في البيانِ ثانِ
من يمَّمتْ نحوَه المعالي فقَادَهَا سَلْسَةَ العِنَانِ
هو ابن الأبَّارِ المُحلَّى برفعةٍ واعتلاءِ شانِ
مُحيي من العلمِ كلَّ ميْتٍ ومُظهرُ الأخفَى للعِيَّانِ
(مالكُ) فقهٍ و(فخْرُ) أصلٍ وكلُّ فنٍّ لديه دانِ
ولو رآه (أرسطو) يوماً في مجلس البحثِ والبيانِ
يُبَيِّنُ الشَّكلَ والقضَايا لفَاهَ بالعجزِ والتَّوَاني
يَجري طليقاً في كل علمٍ دون مبارٍ ولا مُدانِ
ما ضنَّ دهرٌ أتى بفَردٍ مَا مِثلُهُ كانَ في أوانِ
فيَا رعَاكَ الإلهُ دهراً أريْتنا سابِقَ الرِّهانِ
ولْتهنأ يا سيدي بسبْقٍ ودُم أميناً منَ الزَّمانِ
ولم تزلْ ترتقِي عَلاء رَغْماً على حَاسدٍ وشَانِ
تَقْطِفُ زَهرَ السُّرورِ دَوْماً مُؤمَّناً من أذَى المعاني
ودُم مُفيداً لنا عُلوماً من حُسنِها ترْتَدِي الغَواني
تحكم تِبيَانها فتشْفِي من عِلَلِ الجَهلِ بِاللسَانِ
بجاه من للوَرى شفيعٌ ذو التَّاجِ والحوْضِ والقُرَانِ
عليه من ربنا صلاة ما تليت آية المَثاني

* * *

28 ـقصيدة في مدح الشيخ محيي الدين الحاتمي، و"فتوحاته" :

أمُحيي الدين، يا بحر الحقائقْ ... ويا شمس المشايخ في الطرائقْ

طلعت لنا، وأنت الشمس غرباً ... ففاجأت المشارق بالخوارقْ

وكنت علاَمة كبرى ولكن ... بأنك خاتم الأقطاب سابقْ

رفعتم من معارفكم سماء ... بنتها في"الفتوحات" كف حاذقْ

يراها بالزواهر زاهرات ... ذوُو العرفان والهمم السوابقْ

ويجعلها الجهول وراء ظهر ... ويغلق أذنه حذو الصواعقْ

وما يدري الجهول بأن فيها ... جواهر في قلائدها شوارقْ

حياض معانيها للذوق فاضت ... مواردها مفجرة دوافقْ

لها في وحدة التفريد حوضٌ ... يخف لكرعه والِهٌ وشائِقْ

يروْن الكون لا يرْون إلا ... هيأة في هواء وهو طالقْ

فهِمتُهم ووجهتُهم إليه ... على اللحظات قاطعة العلائقْ

فهم لله مرجعهم إليه ... وهم في الله أرواحهم غوارقْ

أماتوا أنفسهم فناء ... فأُحيُوا في البقاء بقرب الخالقْ

فغيبتهم إذا غابوا حضور ... وإن سكروا، فما سكروا ببإذقْ

وإن شربوا فخمرتهم حلال ... صفت من دون تصفية الرواوقْ

تراهم في الحقائق أهل جمع ... وفي التشريع تلحظهم بفارقْ

لهم في الشرع معتصم وثيق ... يعدون المخالف كالمنافقْ

وفي التوحيد عقدهمُ جميعا ... على عقد الجماعة دون فارقْ

فلا جبرٌ ولا قدرُ اعتزالٍ ... ولا رفضٌ ولا نصب مشاقْقْ

يقرون الصفات كما روَوها ... وإن قالوا بتأويلها فلائقْ

هجيراهم صلاة أو صيامٌ ... أو التقديس مطلعَ كل شارقْ

لهم فتح من الله ونصرةٌ ... لنصرهم الأوامر والمواثقْ

فتقوى الله تصحبهم وجدٌ ... وإدمان التهجد كل غاسقْ

أبانوا عنهم الدنيا عزوفاً ... وقالوا إن تكن حسْناً فطالقْ

وفي الأخرى يرون البعث قد آن وأن ... عذابها بالخلق لاحقْ

فهم في خوفهم أبداً في قبض ... وإن بسطوا، فأرواحهم خوافقْ

مقامــات ترقت فـي ثبــوت — وأحــوال تحول كلمــح بـــارقْ
أمحيي الدين جئت لنـا بسرٍ — عن الفِكَر السـوابق واللواحقْ
خفـا عن كل ذي فقـه فأفتـى — بأن كتـــابــكم ككتــاب مـارقْ
رءا في جل أسطره اشتبـاها — يوقع فهمـه فـــي غير لائــــقْ
ونحْنُ لا نسيء بـه ظنـوناً — ونحمـله على معنـــى يــوافـقْ
على أن الكتـاب أتى بختـــم — أبـان ما تشابـه بالوثــــــائـقْ
وصـايـا بالكتاب لها اعتصام — وبالسنن المصححـة الصــوادقْ
ومن حكَم بنسج محكمـــــاتٍ — عبـــارتها صوامـتٌ نـــــواطقْ
أقامت في الورى شيخاً يربي — تلاميــذ المغــارب والمشـــارقْ
فلا سفـر يشق ولا اغتـرابُ — ولا طلبُ المصــاحب والمـرافقْ
فخذ منها بأحسن مـا تــــراه — ودع ما الصدور من معناه ضائقْ
وكن بالشرع معتصماً وباعد — فريـقاً بالضلالـــة عنـــه زاهـــقْ
ولازم سنة المختــار وانهج — سبيل صحبـــه، ولـــهم فـــرافقْ

* * *

29 ـ ما قاله أيضا في وصف كتاب "الفتوحات" للشيخ محيي الدين الحاتمي، واتخاذه شيخا :

لما نظرتُ إلى الشيوخِ فلم أجِـدْ شيخاً يلقنني بلـوغَ المقصَـدِ
أقمتُ مجتهداً أَجَـلُّ مشايخـي كتبُ الإمـام الحـاتمي المتفـرِّدِ
بحرُ المعارفِ والحقائـقِ والهُدى محيي الديـانةِ والطريـقِ الأقصَـدِ
"فتُحـاته" فتــح لكل إشــارة وفصولها وصل لعذب المـورد
حيث المقاماتُ والمنـازل فُتّحت أبـوابُهـــا للـذاكـر المتهجِّـــدِ
أبدت لنــا شِيَمَ الذيـن تقدمـوا من كـلِّ قطبٍ في الولايةِ مهتـدي
عنهم فخُـذ وبِفضْلِهم فَلُـــذ وبِجَـاهِهِم فعُذ من شَـرِّ المُعتـدِي
وهنـاكَ في طَيِّ الفتوحاتِ مُشكِلٌ يُعيي فُهـومَ المُنتَهـي والمُبتـدِي
لكن لديها مبـاحثُ مفهومَـــةٌ تَهدي المـريدَ بنورهـا المُتوقِّد
من محكمٍ في قوله يقضي علـى متشــابِهٍ فـي فهـمـه ومُعقَّـــدِ
لا سيما تلك الوصايا وقد بَدَت محفـــوفةً بشــواهِـدَ ومُعَضِّـدِ
نبويَّـــةٌ سلفيَّـــةٌ مأثـــــورَةٌ في فصولِها من مُرشدٍ عن مُرشِـدِ
كالشمسِ لائحةَ الضياءِ فنورُهـا يُبدي الطريقَ طريقَ ديـنِ مُحَمَّدِ
فابهَج بها وانـهَجْ طريقَ رشادِها واحفظ مبـاحِثها الرشيدَةَ تَسْعَد

* * *

30 ـقصيدة في رثاء شيخه سيدي محمد البقالي وذكر جملة من أوصافه وشيمه :

لِمَــهْ تنطفي نار الأسى والتأسفِ وكيف يكُفُّ القلب عن ذا التلهُّفِ
وأنى يطيب لي التمتعُ بالمنــى وتهتزُّ نفسي للســرور وتحتفي
وقد قُبِضَت نفسُ العلوم وأُقبِرت ومات حليف الفضلِ في كل موقفِ
إمـام همامٌ ناسكٌ متهجــدٌ حليمٌ يفوق حلمُه حلــمَ أحنَفِ
فقدنا عميدَ العلمِ والدينِ والتُّقــى وركنَ الوفــاءِ والحيَا والتلطفِ
يشـارِكُ في كل العلـومِ مُبَــرِّزًا ويُختصُّ في أبحاثهـا بالتصرُّفِ
ففي الفقه إن تسأل، فسل عن دروسِهِ تجدها لفصل القول أجلى مُعَرِّفِ
إذا أفتى في فتوى، ففتواه حجــة يسلم فحوى نصها كل مُنصِفِ
يوضح ما أخفاه نقل (ابن حاجب) ويأتي (بتحصيل ابن رشد) مُفوَّقِ
عليمٌ بأسرارِ النــوازل مبديـا مدارِكَها ينسيــكَ فِقْهَ (مُطَرِّفِ)
ويستخرج المعنى بنبل ذكائِـهِ من اللفظِ إن أخفاه لفظُ المؤلِّفِ
يـوطئ في درس الموطّا فصولَها بنص خليلٍ إذ بـه الفقهُ يستوفي
يساعدُه في نهجه حفظ متنِـهِ فيا حسنَهُ من منهجٍ بالمنى يفــي
وفي علمِ تجويـدِ القرآتِ فائقٌ يعرفنا في حرفِــهِ بالمُحرِّفِ
وفي الطبِّ يأسو مرشدا بإشـارةٍ يجد نفعها من قولِــه كلُّ مُدنِفِ
وفي هيئـة الأفلاك يدري قواعداً يُذاكِرُ في أبحاثِهـا غَيْـرَ مُسْرِفِ
ولا ينتمي في الِادِّعا لمتصـوفٍ وفي نسْكِهِ قد فـاقَ أهلَ التصوفِ
ومن خلقه أن لا يعادي طريقَـةً وإن رُمِيَتْ في سَيرِهَـا بالتعسُّفِ
يطيبُ له وصفُ الخمولِ مُنَكَّراً ويأنف أن يُدعـى نِـداءَ المُعرَّفِ
إذا كـان في حفلٍ رضي بِطَرْفِـهِ وأطرافُ جمعٍ قيل مثوى المشرَّفِ
يجانب من يعتـاد تقبيـل كفـه ويزوَرُّ عـنهُ في الطريقِ وينكَفِي
وشيمَتُهُ في النـاسِ إيثـارُ صَمْتِهِ وما نطقُـهُ إلاّ بقـولِ مُثَقَّـفِ
مضَى شيخُنا شيخُ العلومِ ولم يَدَعْ لنـا خَلَفاً نعتاضُـه بالمخلَّــفِ
مضى شيخُنا والكلُّ يرثيـه باكياً ويفديـه لو يفدى بألفِ مُؤلِّــفِ
محمَّدٌ المحمودُ بالمجـدِ والتقـى وبالسيرة الغراءِ والخُلُقِ الوفــي

فيا آل بقالٍ حظيتُم بسيِّـــدٍ ونلتم فَخـاراً بالإمـامِ الذي اصْطَفي
هنيئًا لكم إذ كـان حيًّا فخَـارُكُـم وسيرتُهُ من بعدُ أسنـى مشـرّفِ
سقى الله قبرَ طيـبٍ عـاشَ طيّباً إلى رفعـةِ المختـارِ يعدو ويقتفي
وأسكَنهُ في جنـاتِ الخلـدِ نـاعماً بمقعد صدقٍ في بهـاءٍ وزُخْـرُفِ

* * *

31 -أرجوزة في مدح كبراء الشعبة الريسونية :

أنتم بنو ريسون غوثُ المغربِ … بكم يلوذ أهله في المأربِ

سدتم بني الغرب بعلم وشرفْ … مع التقى والأخذ من كل طرفْ

وفضلكم أشهر من نار علَمْ … لاسيما وأنتم جيرة العلمْ

طالعة المجد بكم قد طلعتْ … في أفق (تاصْرُوت) ومنه سطعتْ

بسيد له التقى جلبابُ … وهو الشريف الذاكر الأوّابُ

إمام زهد عابدُ الرحمان … مقتبس النور من الغزواني (*)

له الكرامات التي لا تحصرُ … أجلها التقوى وذاك الأكبرُ

إذ كان بالله وفيه فكرته … محصورة لا تعتريه فترته

طلق ما فيها من الملاهي … وكان هجِّيراه ذكر اللهِ

أثار الانفراد ثم استأنسا … بالله في صباحه وفي المسا

حتى ابتغاه ربه لقربه … منفردا عن آله وصحبه

في بيته بعد ثلاث ألفيَا … كميت مات إزاء الأوليَا

فرّ إلى مالكه وما ملك … مالا ولا في مسلك الأنثى سلك

في عام أربع مع الخمسينا … وتسعمائة غدا دفينا

فرحم الله عظاما لهجتْ … بربها وبلقاه ابتهجتْ

وفي عليٍّ صنوه الفضل اجتمع … العلم والدين وشدّة الورع

مع التمسك بحبل الدين … والاعتصام بعرى اليقين

يخالط الناس بقلب غائب … عنهم بحق ربه والواجب

يمشي في الأسواق كمثل الناس … ينكر ما فيها من الأرجاس

يُحذر الباعة من فكر الربا … إذ المُرابي للإله حاربا

يعلم الصبيان في الكتّاب … آيات ربه من الكتاب

لكي يكون من خيار الأمة … مندرجا فيما روى الأئمة

تلقن الذكر عن الغزواني … فأشرقت في سره المعاني

ولأبي زيد أخيه المعتلي … مقالة تعلي مقامه العلي

(*) (عابد الرحمان): هو أبو زيد، سيدي عبد الرحمان، وصفه في "المرآة" بقوله: الولي الجليل سيدي عبد الرحمان بن ريسون، الشريف الحسني، دفين تصروت.هـ. من خط المؤلف بالأصل. أم

إذ قال للناس بقول واضحِ   نواياكم تلفى في صنوي الصالحِ

وأكمل الله له المقاما   أن جعل البلوى له ختاما

في قصة سُمّ بها وكيدا   فلقي الله بها شهيدا

ونجله قطب الورى محمدُ   فيه تجمع المنى والمطلبُ

مفخر (تاصْرُوت) وموئل الجبل   وملجأ العاني ومَدرَك الأمل

الحسن الأخلاق الأعلى العنصُر   به اللِّقَا يُعد أسنى مفخر

حلو الحديث ظاهر الفضائلْ   تقطع في لقيِّه المراحلْ

جمّ التلاميذ عظيمُ القاصدْ   والمنهل العذب كثير الواردْ

له من المناقب الغرائبْ   تُملأ من أسفارها الحقائبْ

وذاك من فضل الإله القادر   يفعل ما يشاء وهو القاهر

يخص من شاء بمحض فضله   ويصطفي أهل التقى لقربه

يخرق في حقهم العوائدا   فيجتني الخلق بها فوائدا

ويعلمون أنه المجيدُ   يفعل في ملكه ما يريدُ

عمدة هذا الشيخ في الطريقة   ابن حسين عالم الحقيقة

شدّ مراراً رحله إليه   يقتبس النور الذي لديه

فنال منه كل ما قد أمّلا   واتّسق الفضل له وكمُلا

فعاد والخير لدى أنحائه   في جانب الدارين من دعائه

فصلح الناس به وانتفعوا   وزاولوا مجلسه واجتمعوا

حتى دعاه ربه في ألف   مع تسعة مردفة بضعف

ونجله الحسين وارث الأب   فيما به من المعارف حبي

وكان أكبر بني أبيه   أعظم به من عالم نبيه

لذا أقيم بعده خليفة   فكانت التقوى له حليفة

إلى كمال الدّين والأخلاق   وكرم والجود بالأعلاق

مستغرقا بربه في المعرفة   بقلبه والهمم المؤتلفة

أما أبو زيد أخوه الأطهر   العارف الطود العلي الأشهر

له الشفوف في العلوم كلها   مشارك في دقها وجلها

كالفقه والإعراب واللسان   والضبط والتجويد للقرآن

وزان علمه بصالح العمل   والزهد في الدنيا وتقصير الأمل

منعزلا في بيته عن الورى … لا سائلا عمّا جرى كيف جرى

تال كتاب ربه دواما … به يقوم ليله قياما

حتى اكتسى بذكره كرامة … إذ سهل الله له ختامه

فكان في ليلته يختمه … ختما عديدا وهو لا يبرمه

عدت له بعض الليالي في العلم … في ليلة خمس تلاها في الظلم

مرقده الأخير قرب الجبل … بأعلى (تازرُوت) مناخ الأمل

والحسن الذي المعالي استوفى … بسند كالذهب المصفى

إذ هو نجل ذلك الربّاني … محمد ذو الجد والوجدان

ضمّ إلى شرفه الديانة … والعلم والعفاف والصيانة

والاعتنَا بالجمع والتحبير … شأن الفقيه العالم الخبير

ألّف في سيرة خير الرسل … فنال ما قصده من أمل

كما سمت همته بالقلم … لرسم أنساب سراة العلم

وفي جدوده أتى بالفتح … فكان مجْلَى مجدهم كالصبح

نمته (تاصروت) وأمّ فاس … فاقتبس بها العلم اقتباسا

كما نحى (تطوان)، و(الحمراء) … فقال بالعلم بها ما شاء

وعاد والعلم له لباس … لداره فعظمته الناس

ثم انتحى فاسا بقصد السكنى … فقرّ فيها بالمقر الأسنى

حتى دعاه ربه فلبى … وصبّت الرحمى عليه صبا

فبكت الناس لفقد مثلهِ … وأرِّخت وفاته بشكلهِ (1055)

وابن عليّ واسمه محمدُ … بالضمِّ ذاك العارف الممجّدُ

الفاقد الحسّ بحبِّ ربِّه … الحاضر المعنى بسرِّ قربه

كان يغيب غالبا وحينا … يصحو فيلقي ورده تلقينا

أخذ عنه الناس ذاك النورَا … فكان فيما بينهم مشهورا

كالعالم ابن الصادق النحرير … صاحب "فتح العليم الخبير"

وقد بدت عن يده كرامهْ … هي على اصطفائه علامهْ

لما توجه بحفل باهر … إلى زيارة الولي الطاهر

كنز المعارف أبي سلْهام … مقصد كل عارف همام

وكان في نهر (العرائش) ظمي … ولده عليّ سليل الأنجم

استعذب الشيخ مياه الوادي ... وقال منه يسقى هذا الصادي

من ذلك النهر الأجاج إذ حلا ... كرامة للقطب نجل النبلا

فشرب النجل وكل من حضر ... وسلموا الفعل العجيب إذ بهر

ومرّ في الزيارة المسطورة ... بدار ذي المآثر المشكورة

محمد ذي الجد في الأحوال ... السيد المجاهد البقالي

فسرّ بالضيف الذي عراهُ ... وغاب عن حسه في قِراهُ

فمزّق الثياب واللباسا ... وفقد الشعور والإحساسا

واتّبع الشيخ برأس عاري ... وقدمٍ حاف وسير ساري

ملازما للسعي في الطريق ... مندمجا بالصّحب والفريق

يجهر في ذكره بالجلالهْ ... مشاهدا بسره جمالهْ

هناك زجّ الشيخ في الأحوال ... وأنشد (الحَضْرَة) في البقّال

ولم يزل في جذبه مستغرقا ... وأمره بربه متّسقا

حتى دعاه للمنون داع ... لا ينثني برد أو دفاع

في عام تسعة وضعف أربعين ... ومائة والألف مِن ماضي السنين

ونجله البر علي أبو الحسن ... المقتدي بالأب في حسن السنن

كانت له المكانة المكينهْ ... في الناس والديانة المتينهْ

مع المقام الثابت الأركان ... عند ذوي الدولة والسلطان

فافتخرت (تطواننا) بغرتهْ ... حيا، وبعد موته بروضتهْ

إذ انتحى الأخرى وتمّ عمرُهُ ... فإن تؤرخه فقل: (جا شكرُهُ)(*)

وبعده جاء ابنه الجليلُ ... فكان في رأس العلا إكليل

عبد السلام السيد الممجد ... ذو الخلق الأسنى الذي لا ينقد

متبعا في شأنه نهج السنن ... معتصما بحبل هديها الحسن

فما ادّعَى لنفسه كرامهْ ... ولا عدا طريق الاستقامهْ

يعظم العلم ويدني العلما ... ويُعلي مجلس الذي له انتمى

وخصّ مجلسا لأهل العلمِ ... من ذي النباهة وحسن الفهم

فكان يعتني بسرد السيرةْ ... في حفلهم مطهر السريرة

من اتّساق واتّسام بالأدبْ ... ورفض ما يُبرز كامِنَ الشغبْ

وحرصه على انتهاج المجلس ... نهج انْصياع وانحناء الأرؤس

(*) [أي عام1229].

وذكر من مضـــى بحسن الذكرِ ... دون اعتـراض قـولهمْ بنُــكـــــر

هــذا ومن أخلاقه وصف الكرمْ ... إذ كــان يعطي دون خشية العــدمْ

حبّس ما ملــكه من ذخــــــر ... تقربا ورغــبة في الأجـــــــر

ثم قضــى كما قضــى من قبلـــه ... ولم يخلف في ذويــــه مثلــــــه

إذ أودع الكمـــال ضمن لحـْــدِ ... وأرّخ المصاب نشر مهْد (1299)

فهـــؤلاء الســـادة الأجـــــلهْ ... هـُم في الطريــق للتقـــى أدلــهْ

موردهم شيخ الورى أبو الحسنْ ... فالدرقــاوي والريسوني في رسنْ

ولا اختلاف ماعـدا في الوســمِ ... كل له في الفضــل أوفَــى قســـم

* * *

32- نظم السند الريسوني :

وإن تُـرد ذا السند الريسـونـي فخُـذه مثل الجوهـر المكنـون

عبد السـلام عن أبيه المفـرد عن قطبهـم بدر الهـدى محمـد

عن سيدي علـي عن الحسيـن عن سيـدي علي القريـر العـين

عن سيدي الحسين وهـو الأكبـر عن قطبهم ذاك الإمـام الأشـهر

محمد مؤسس الطـريقـةْ ومعدن السلـوك والحقيقـةْ

عن شيخه عبد الإلـه ابن حسين وهو عن الغزواني حقا دون مين

عن شيخه التبـاعي ذاك المعتمدْ عن الجزولـي الموثق السـندْ

عن شيخ أمغار عن الهريـانـي وهو عن الرجراجـي الربانـي

وهو عن الهنـدي عن عبـوس عن القرافي العـالم الرئيـس

وذا عن المغربي لقن السـننْ والمغربي أخـذ عن أبي الحسـن

عن شيخـه القطب الولي الأكـبر ابن مشـيش غوثنا المشـهَّر

* * *

33- نظم السند الدرقاوي :

والسند الدرقاوي إن رمت السنن فخذ رجاله إلى أبي الحسن
فابن عجيبة عن البوزيدي عن سيدي العربي الإمام المهدي
والعارف الحراق أخذه اتصلْ بالدرقاوي، وعلى الفتح حصلْ
عن سيدي علي المكنى بالجمل عن ابن أحمد مبلغ الأمل
عن أحمد عن الأخصاصي الآسي عن عابد الرحمن طود فاس
عن سيدي يوسف قطب المغرب عن شيخه المجذوب حلو المشرب
عن شيخه المشهور بالدوار عن سيدي الفحام ذي الأنوار
عن زروق عن الإمام الحضرمي وهو ليحيى القادري ينتمي
عن قطبهم وهو علي ابن وفا عن سيدي محمد بحر الصفا
عن شيخه النجاري من ذوي الهمم عن الإمام ابن عطاء ذي الحكم
عن شيخه المرسي عن أبي الحسن حامي الحقيقة وحافظ السنن

* * *

34- مقصورة في الوصايا الدينية والدنيوية ومحاسن الأخلاق :

يا فتية ضلَّت مواقع النَّدَى ... واستمطرت من خلَّب البرق الحيَا

وآثرت لهْوَ سرابٍ خادِع ... سرابه يهوى بها مهوى لظى

أما تنِي عن غيِّها وخُرقها ... وتعتلي برشدها فرع العلا

هذا الصراط المستقيم واضحٌ ... لا ينخفي إلا على ذوي العمَى

فاستنهضوا هممكم واستدركوا ... ما فات من شبابكم فيما لهَا

وليستمع أنبهكم من ناصح ... مقالة مرشدة لِمَن درَى

آمن بربٍ خالق ما في السما ... وما على الأرض وما تحت الثرى

وقل هو الله العزيز الأحدُ ... الصمد الفرد إليه المُنتهَى

يعلم كل ظاهر وباطن ... والجهر والإسرار عنده استوَى

أرسل حقا رُسلا ونُذرًا ... بحجج أضوء من شمس الضحى

وختم الأنبياء والرسل بمن ... فضَّله على البرايا واجتبَى

هو النبيّ العربيّ جاءنا ... بالنبإ الصدق الذي لا يفترَى

جاء بشرع واضح مُبيِّن ... مصالح الدارين من دُون مِرَا

فزهق الباطل والحق انجلا ... وانتشر الإيمان في كل رجَا

وعبد الناس إلها واحدًا ... ورفضوا ما نحتُوا من الصَّفَا

حافظْ على الصلاة في أوقاتها ... إن الصلاة جُنَّةٌ من الصِّلا

فمن أضاعها أضاع دينه ... ورضيَ الكفر لنفسه خُلَى

أدِّ الزكاة فرضها إن وجبت ... إذ كل من منعها فما زكَى

وقفِّها صدقة وصلةً ... تسُدّ باب السوء في دار البِلا

وصُم صياما موقنا محتسبا ... في رمضان قائما دُهم الدّجَا

وحجّ حاجا مخلصا إن حصلت ... شروطه، ونَل هناك بمنَى

واشكر لوالديك واخفض لهما ... جناح ذُلِّك تنل به الرضى

وصِلْ ذوي القربى وإن هُمْ قطعوا ... واحْم ضعيفهم إذا بك احتمَى

وَلْتَعفُ عن ظلم الظلوم إنه ... أقرب للتقوى لدى من اتقى

وقمْ بحق الضيف إن أويتهُ ... وافسحْ لهُ النزل، وعجِّل القِرَى

وافعل من الخيرات ما رأيته ... من الكتاب والحديث يُجتنَى

ومُر بعرفٍ إن تكن من أهلهِ	وانْهَ عن المُنكر حيثما انبـــرَى
لا تقرب الزنا وحاذر فحشهُ	فالمقتُ فيـــه لا زمٌ لمن زنَـــى
والخمرَ والميسر دع، ففيهما	سلبٌ لمال، وجنونٌ في الحِجـا
واعْدُ عن الكذب في القول وكُن أصدق	في اللهجة من قول القَطَا
دَع اغتياب الناس واحذر غمطهم	ولا تصغِّر أحـدًا بما جنَى
ولا تنـمَّ بحديـث مُفسدًا	قلبًا، ولو صحَّ ولم يكن فِـرَى
وكذِبَ الأيمان دعْ فإنهـا	تُخلي الديار وتخرِّب القُـــرَى
وأوف بالعهد بحيث إنـه	لا يَجد الغَدرُ إليك مُخْتَطَـــى
وكُلْ من الحلال إن ألفيتـه	أو ارتشف، إن عجزت منك القوى
ولا تَسُم مالا بغير حقـــه	وإن أهـاجك الأُوَارُ والطـــوَى
ولا تخن أمـانـة أُودِعتهـــا	جلت، أو إنْ قلَّت، وإن شيئا لَقَى
تعلم العلمَ وحَصّل أصلـهُ	وفرعهُ، دون فتــور أو وَنَـى
وانظر إلى فنونه من غير ما	تخصيص فن دون فن يُـــدَّرى
وقدم الأهم في دروســـه	واعْن بعلم للشريعـة انتمَـــى
من فقه أحكام، وعلم سنة	ودرس تفسيـر، خصيب المُرتعى
إلى أصول الدين والفقه الذي	ترقى به في الفقه أعلى مُرتقى
وسيرة الرســول في أحواله	وفعله مما انتقـاه وارتـضــى
وعلم آداب وتـاريخ ومـــا	به انتفاعٌ من علـوم من مضَـى
إذ كل علم لا ينــافي شرعنا	فالعلم نعم المقتنى والمقتـفَـى
فالعلم نـور يتلألأ ضـــوءُه	على الضـــلال فتراه قد عفَـى
به جلاء القلب من غيّ العمَى	ونضرةُ الدّين وإن هـو ذوَ ــ ى
تالله لولا العلم ما كان الفتى	بجهلـه إلا كضب في الكُــــدَى
فللعلُــوم لــذة فائقـــةٌ	كل لذيـذ يُـنتقى ويُشتـهَـــى
فأهله في فرح لا ينقضـي	ورغــدٍ من الزمـان قـد صفَـا
هم البُحـــور عذبة أخلاقهُم	وهم من العلياء في أعلـى الذرَى
هُمْ زعماء القوم في إرشادهم	وهُمْ سيوف شُهِّرت لمن طغَـى
وهُم شموس في المعارف بدت	مشرقـــة أنوارُهـا لمن عشَـا
وهم أسـاة لعليل عقـده	من حيرة أشفى بها على شفا

وعمل البر انقضى إذا قضوا
عدا ثواب العلم عنهم ما انقضَى

وكل من دلّ على خير فقد
أحرز أجر عامل به اقتدَى

ومن يرد به الإله خيره
يفقه في الدين الحنيف المُرتضى

وفضل عالم صحيح علمه
يفوق فضل عابد مهما اهتدَى

بل فضلوا على الشهيد العُلمَا
وإن سما في فضله ما قد سمَا

والبر من عبد عليم قلةُ
أنفعُ من بر الجهُول هب ضفا

والناس في التمثيل أكفاءٌ فهُم
لآدم مهما اعتبرت المُنتَمى

وإنما الفخر اعلمن لمن غدا
يرفل في العلم بأجمل الحُلى

فعظم العلم وجالس أهله
وضعهُم من البرُور في المطى

ولا تكثِّر إن سألت عالما
ولا تجادله بنقض ما ارتأى

وألق نفسك لديه سامعًا
مُبتدرًا حديثهُ إذا روى

واسع بجد في قضاء حاجه
وجُدْ عليه إن به الفقرُ هطَى

وامش إذا مشى رويدًا خلفه
وبالركاب خُذ لهُ إذا امْتطَى

وإن حباك الله بالعلم فكُن
مُتَّضعًا تسمُو لأعلى مُسْتمَى

وكن حليما ليِّنًا بجانب
تبذل علمك لكُل من قرا

والعجب شرٌّ ما اتخذتَ خُلقًا
أخْسِسْ به من خُلق مُرِّ الجنَى

وفي الرياسة ازهدنْ فحبها
أقطع للخيرات من حد المُدَى

وكن لكل طالب مساعدا
ومُبْلِغًا أمله فيما رمَى

وغذِّه بالعلم وفق فهمه
ولا تضله بما عنه نبَا

واطلب لنفسك معاشا تتقي
بعزه ذل السؤال المُزدرَى

صناعة، فلاحة، أو متجر
أو إمرة يرنُو لها عز الفتى

فمهنة العموم صنعة تفي
ببلغة القوت، لمن بها اكتفى

يَزينها الإتقان في أعمالها
يشينها الغش ويمحق النما

نعم أصارها الترقي منبعا
لثروة مثرية لمن رقا

وفي الفلاحة فلاح ظاهر
لمن يقيم شأنها من الورَى

وهي عتيقة، وقدْما نُسبتْ
لآدم عنهُ دراها من نما

فيها الزراعة وغرس الشجر
وكسب الأنعام وإنباط الرّوى

وللتجارة معاش بيِّنٌ
ينمو بها الغنى ويعظم المَلا

بجرأةٍ وقحة يتبعها ذل اتّضاعٍ واحتيال ودهَا

وإن تحاول ضبطها مختصرًا فخذْ برُخْصٍ، ولتبع بما غَلا

ومن يرم نهج التقى فليجتنب كُلَّ خِلابةٍ وغش وربَا

وإن تكن ذا إمرة ببلد تدبيرُها إليك كلّهُ انْتَهى

فاجعل بنيهم ولدًا، وتِربهم أخاً، وعُدَّ شيخهم لك أبا

واسْع بهم لكل ما يُصلحُهمْ في آجل وعاجل من ذي الدّنا

وسقهُمُ إلى الرشاد آخذا برحمةٍ وبالعصَا لِمَنْ عصَا

ولتستشرعند اعتراض حادث مُهذَّبًا من التجارب ارتوَى

ليس بنمام ولا بمانع عن غيره خيرًا، إذا هو اجتدى

ولا يثير شر ما يستره من العيوب حقها أن تختفى

واختر من الكتاب كل حاذق أخَا عفافٍ وصلاح وذكَا

واطلب من العمال كل قادر مؤتمن على الخَراج والجِزَا

ولا تبادر في انتقاء حاكم دون امتحان كاشف عما انطوى

ممن تجلى النبل في إدراكه والعلم والفقه الذي به القضا

يرمي إلى الحق بسهم صائب لا ينثني لطمَع ولا هوَى

فولِّهِ، ومُدَّهُ براتبٍ يُغنيه عن إشرافه على الرُّشَا

واستوص بالتجار خيرا إنهم للناس أسبابُ ارتفاقٍ يبتغى

مع الرقابة على أموالهمْ وحجزهم عن حُكرةٍ تؤذي الملاَ

وبالصناعة احفلن فإنها حرفة ذي الإقتار أينما انتوى

وإن يُنط بك القضاءُ فاعلمَن أن قُصَاراهُ عناءٌ وتوَى

ترجو الحياة ناعما في ظله وقد ذُبحتَ دُونَ سيفٍ يُنتضَى

فإن يَسُقكَ للقضَا حَتْمُ القضا فاسبَح ببَحر قلَّ من فيه نجا

واصنع إلى النجاة فيه سفنًا من العدالة عساك وعسَى

قدِّم من الشهُود من سبَّكته فشمته كالتِّبر حين يُصطلَى

وانظر إليه دائما منتقدًا إذْ رُبما يقع يوماً في الحِمَى

ولا تُحابِ شاهدًا نَكِرتهُ بل أصله نارَ العقاب إذ غوَى

وكُن بقسطٍ قائمًا مُساويًا في العدل بين من دنَا ومن قصَى

وانتق للأيتام من ينظر في أموالهم يذبّ عنها من عدَا

مُتقيًا لله ذا نزاهـــة   وعفـة وبِـردَ الصـدْق ارتَـدَى
مُحصِّنًا أموالهم مُسجـلا   في دفتـر ما بـاع من ذا واشتـرَى
ثم افتقدْ شأنَهُ كل سَنَـةٍ   وانظر لما قلَّ وما له نمَـا
كذاك في الأوقاف فافعل مثلما   فعلته على التمام والوفَـا
واستكثرالإخوان وارع عهدهم   وإن تزلَّ قـدمٌ فقـل لعَـا
واختر ذوي الأدب في أخلاقهم   ورُمْ وداد ذي العفـاف والنُّهـى
من كل أورع يـروق حالـه   يرعى حقوق ربـه مع الـورى
فإن ظفرت بالذي تهوى فكـن   به حفيـا ساعيأ فيما ارتـضـى
عدْه إذا اعتل، وإن عـال فجُد   عليه بالمال، وذد عنـه العـدا
عاد عدوه، وصـاف خلـه   وصل قريبه، وإن عنك نـأى
ولا تسـارع إن هفـا لعذلـه   فربمـا الجواد يكبـو إن عـدا
ولا تمـاره ولا تشـاره   وكن له عونـا على محض الوفا
ولا تنقب باحثا عن سـره   وخذ بما بـدا، ودع ما قد خفـا
واتخذ الإنصاف وصفا دائبا   كيما ترى الود يزيـد في الصفا
فإن عدا الإنصافُ شطر جانف   فليتق الهجران من ذا والجفـا
وزُر أخـاكَ زَورةً تعتادُهـا   غبًّا، ولا تُطِلْ عليه في المـدَى
فزورَةُ الغِبِّ تزيـدُ حبّـه   وكـثرة الترداد يخلـق الغِـلاَ
ولا تكـثر إن جفـاك عُتبـهُ   فإنما العتبـى دواء يتَّقـَى
فربما أدَّى الدوَا تكـرارهُ   في بدن المـرء بمصرع المَنَـى
وإن يعنَّ سفرٌ لهُ فقِـفْ   هُنيْهةً مُـودعا إذا سعَـى
مُؤثِّرًا دعوى الرسول راجيا   توجيههـهُ للخير حيثما نَـوَى
وارْتَد إذا طال المقام ناطقـًا   في صمته يغنيك عن حلو اللقـا
فلا أعزّ مـا يُوافي صاحبـا   من غائبٍ مثلُ كتـاب يُلتقَـى
وخالط الناس بصدر واسـع   تحْمِلُ من جفائهم مُرّ الأذ ـ ى
إن كنتَ ذا مالٍ تقضي حاجهُمْ   وإن تعِلْ فَلكَ منهـمُ الحِبَـا
تُعلِّـم الجاهـل مـا ينفعُـهُ   وتهـدي فاجرًا لمنهـج الهُـدى
وإن عـلاك أمره فـداره   وابسط له الخد لنيل المبتغـى
وبالتي أحسنُ فادفع عاديا   إذا عـداوه يعـود للولَـى

وأهدِ للأصحاب في أفراحهم ... كل نفيس يبتغَى ويقتنَى

إن الهدية وإن دقّت لها ... وقع عجيب في القلوب يُرتضى

تدني إليك من نأى بجانب ... وتفشي الود، إن الود هَوَى

ولتستعِنْ بالكتم فيما تقتضي ... من حاجة، تحظ بإدراك المُنى

واطلبها في إبانها من أهلها ... يسرك القصد، ويحلو المُجتنى

واصبر إذا انسدت لها مسالكٌ ... فالصبر مفتاح لكل مرتجَى

وارج ولا تيأس وإن طال المَدى ... فاليأس سور حاجز دون المنى

وكن لطيفا سائلا بأدب ... وحسن تعبير لتحصيل اللهى

والناس إن خبرتهم قليتهم؛ ... إذ كلهم إلى الزمان ينتمى

وهم به أشبه شيء؛ فإذا ... رُمت مهذبا، فقد رمت الشقا

فدعهمُ ودارهم في دارهمْ ... ولا تسل عما جرى كيف جرَى

وكل عصر قد مضى بشره ... أصبح خيرا بعده لمن يرَى

فما بكيتَ في زمان قد مضى ... إلا بكيتَ بعده ضِعفَ البُكَا

والكل مجبول على أخلاقه ... فمن يرم تخلقا عاد ورا

وما يكن عند امرئ من خلق ... وخَالَهُ يخفى؛ تبدَّى وانجلَى

عَمِّ عن الحسود أمرك وكُنْ ... مجتنبا جانبه حيث اعترى

كل العداوات يُرجَّى برؤها ... وحقد حاسد نبا عنه الأسَى

فاستعذْ بالله من شروره ... فإنه الشر المحض المتقَى

أظلم أهل الظلم شخص حاسد ... لمن يبيت ناعما فيما اقتنَى

وهو بدائه يبيت ساهرا ... معترضا لمَ اعتلى هذا وذا

فاصبر على مضضه فإنما ... حسده يهوي به إلى الردى

لا تُصْغ للمغتاب وادفع قولهُ ... صدقَ في اغتيابه أو قد فرى

وكل نمام يبث نصحه ... انبذ لما يبذله نبذَ الحصا

إذ قصده الإفساد فهو تارة ... لك، وأخرى ناقلا عنك الخنا

وكل مفتر كذوب مجّه ... كما تمج من جفونك القذى

إذ الكذوب لا يسام نفعه ... بل ضره أقرب حيثما نحا

واتق سيِّئ الجوار وابعدن ... عن داره وإن حباك ما حبا

ومن تسؤ أخلاقه فإنه ... أجدر بالرحمى له وبالأسى

حياته في تعب، وصحبُه — في نصب، والشؤم أينما أوى

وصحبة الأحمق دع فربما — حاول أن يشجّ يوما فشجَا

وإن يُردك ملكٌ لوده — وكنت من أشياعه في المنتدَى

فالتزم الصدق لديه واحذرْ — إفشاء سرّ قد زوَاهُ وطوَى

وابذل له النصح ولا تغتب له — شخصا، وإن كان هجاه من هجَا

واصبر إذا ولاّك ما تكرههُ — من خطة ، موافقا لما هوى

وكن على التقريب غير آمن — إذ ربما أقصاك يوما وزوى

هبك اكتسبت سطوة وثروة — فالرّوع فاق ما اكتسبت وربا

ألست في حال الرضى كراكب — عادي السباع إن بدا له اعتدى

فعدِّ عن هذا وجالس فئة — ركبُهمُ إلى الجنان قد سرَى

قد هجَّروا إلى التقى وهجَروا — لذيذ نومهم، إذا الليل عسى

لا تنحني رؤوسهم لملك — ولا لذي جاهٍ وإن علا السهى

وإنما خضوعهم لمالكٍ — يملكُ كلَّ مَلكٍ وما حَوى

فعجل التوبة واحفظ شرطها — ولا تؤخرها غدًا ثم غدَا

فإنما الذنب كسُم ناقعٍ — إن لم تعالجه، براك وفرَى

وانأ عن الدنيا وهوِّن قدرها — ولتعتصم بالدّين أوثق العُرى

ولذ بتقوى الله كل حالة — فليس أقوى ذمة من التقى

ودع حظوظ النفس لا تحفل بها — إذ حظها إلى نفاذ وبِلا

والأنس بالله يزجي كل ما — يشجي النفوس ويكدر الحشا

والخوف منه، جل شأنا، مثمرٌ — مهابة تخافها أسد الثرى

وبالتوكل عليه تكتفي — *عن كل من ناواك أومن قد ولَى*

والصبر في المصاب محمود وإن / جلّ — وقُلتَ بلغ السيل الزّبَى

فإنه وإن طما تياره — ففي القريب ستراه قد سجا

ألا ترى الساري يعاني نصبا — لكنه في الصبح يحمد السّرَى

وارض لكل حالة أُلبستها — أخشنت أو قد وشاها من وشى

ولا تكن مغاضبا لقدر — قضى بما أمرّ ذوقا أو حلا

فللنفوس راحةٌ إن رضيت — تجرى مع المقدور كيفما مضى

أخلص بعزم كل ما دنت به — من المُراءاة إذا رُمت الصفا

إذ كل ما قدمته من صالـــح إنْ فاته الإخلاص بـار وانمحى

واشكر له، سبحانه، توفيقـــه فهو الذي دعــا إليه وهـــدى

وقل عجزتُ ربي لا أحصي الثنا عليك إذ نعماك بحر قد طمـــا

وارجُه غير آمن من مكـــره وغلب الرجــاء يوم الملتقـــى

هنا انتهى تحبير ما قصدتُ من (مقصورة) نافعة لمن شـــدا

(مقصورةٌ) مقصورةٌ علىالذي يلين قلبه لهـا؛ لا مَن قسـا

وضعها منشئُها لنفســـه تذكرةً، وعظـةً لمن صـــغا

يرجو بهـا إثابةً من بـارئ يثيب من أطاعهُ ومن أبـــى

مصليا على خـلاصة الـورى أفضل مرسل على الأرض مشى

وآله الأشراف آل الاصطفـا وصحبه أهل السنــاء والسنـا

* * *

35- رجز ،حاذى به "التصلية المشيشية"، وهو شرح وجيز لها :

بفضلك اللهمّ يا ذا الجُود صلّ على يقوتة الوجُودِ
من انجلت من سِرِّه الأسرارُ وانفلقت من نوره الأنوارُ
واتَّسقت حقائق الأذواقِ في ذاته وكامل الأخلاق
وعِلْم آدم بسره امتزجْ من كل اسم في مسماه اندرجْ
فعجزت عن درك معناه الفِكَرْ من كل ماض عصره ومن حضرْ
فالملكوت بجماله ازدهرْ والجبرُوت من فيُوضه انهمرْ
وكل شيء فيه أنيطا إذ انتقاه ربُّه وسيطا
فالكون لولاهُ لما كان ظهرْ لحكمة يعرفها أهل النظرْ
كما أتى في خبر لولاكَ لما خلقت الخلق والأفلاكَ
وهو حديث صححوه فنَّا كما انجلى توجيهه في المعنىَ
تصلية لائقة بربهِ كما تأهل لها بقربهِ
وهو سر الله في الأكوان وجامع مفترق المعاني
وهو الدليل المرشد البريةْ لمنهج الشريعة السويةْ
وهو الحجاب المانع الجهالةْ بربه ومبلغ الرسالةْ
وقائم قيام عبد خاضع لأمر ربه بقلب خاشع
وصلّنى الله بحبل نسبهْ محققا لمجده وحسَبهْ
أعرفه معرفة مفيدةْ مقتنياً شيمه الحميدةْ
حتى أُذَادَ عن حياض الجهلِ وأرتَوِي مناهلاً من فضل
وأنتحي سبيله لحضرتكْ مؤيدًا مكتنفاً بنصرتكْ
ومدَّني منك بنُور الحقِّ لأضع الباطل تحت المَحْقِ
وزُجَّ بي في بحر وصفك الأحدْ فلا أشاهد سواك من أحدْ
وانشلني من مشاكل التوحيدِ كي لا أرى غيرك في الوجودِ
فبك أبصر ومنك أسمع وبرضاك أقتني وأدفع
وكل مسعاي وكل عملي بك وفيك أربِي وأمَلي
واجعل بفضلك الحجاب الأعظما حياة روحِيَ به أرْوي الظمَا
وسره سر حقيقتي اجعلاَ واجعل حقيقته مني الأملاَ

بحق تحقيق الضياء الأول ... المظهِر الحق المبيد الباطل

وأنت الأول بلا ابتداءِ ... وأنت الآخر بلا انتهاءِ

وأنت باطن بلا خفاء ... وظاهر في سائر الأشياء

اسمع ندائي كما سمعتَ ... زكريا وبالمُنى استجبتَ

وحفني بالنصر والتأييدِ ... حتى أُرى من خيرة العبيدِ

وبك فاجمع همتي وذهْني ... والغير؛ حلْ ما بينه وبينِي

اللهُ، يا للهُ يا للهُ ... فأنت حقًا واحدٌ إلهُ

وأنت رادنا إلى معاد ... للفصل بالعدل على العبادِ

ومن لدنك رحمة ورشدا ... أرجو، ولا أدعو سواك أبدا

وأختمُ الصلاة بالتنبيه ... على مقام أحمدَ النبيهِ

إذ صلى جل وعلا وسلما ... عليه تسليما وسكانُ السَّما

وأمرَ الأمة للتعظيم ... عليه بالصلاة والتسليم

سبحانه ذي العز والتنزيهِ ... عنِ المماثلة والتشبيهِ

ثم سلامه على الأرسَالِ ... والحمد لله بكل حَالِ

* * *